عهد جديد

تأليف الأستاذ شاكر خصباك

منشورات لجنة النشر للجامعيين بالقاهرة

للأستاذ سليم عبد الجبار

على الرغم من أن الأستاذ شاكر خصباك لا يزال في مطلع حياته الأدبية، فإن قارئ المدمن، يدرك أثناء قراءته لـ (عهد جديد) أن الأستاذ شاكر، قد أشرف على الطريق القديم في كتابه الأقصوصة الفنية

فالشخصيات التي تتراءى لنا من خلال دموع (زينب)

فالشخصيات التي تتراءى في هذا الكتاب، تتخذ مادتها من الحياة الواقعية المألوفة، ومن الطبقة الوسطى، على الأخص، ولكننا نلمس خلال قراءتنا، أن تلك الشخصيات، ليست بالشخصيات التي تتراءى لكل عابر سبيل، يرمقها بعينيه، فلا يتجاوز، بنظراته، هذه الأجسام المادية المحدودة الصور، بل نراها، أثناء حركاتها وسكناتها، وأثناء هدوئها واضطرابها، تتجاوز هذه الحدود، لتكشف لنا ما وراءها، ما وراء هذه الأجسام، من نفوس إنسانية متغايرة، متشابكة، تتجه كل منها، في سبيلها التي أريد لها، أو — على الأصح — نحو سبيل اختارته طبيعة نفسيتها، وما ابتعثته تلك الطبيعة من انبثاقات خاصة

فقضب الأب في (عهد جديد) وهي الأقصوصة الأولى، يربنا بكل وضوح تلك النفسية القلقة الحمقاء (الطيبة رغم ذلك) التي تغضب للاشيء، وسرعان ما تفيء من غضبها، فإذا هي نادمة، واجمة، يتراءى لنا

فما بانت بعيداً في اليم حتى انثنيت
ولاح فجر الأماني لخاطري فانتشيت
وقلت قر شراعي من رحلتي وتجوت
وأترع الحب كأسي من خمره فاحتسيت
حتى أفقت عليلا من نشوتي وهمومي!
واحزناً قد طواني ليل الأسى فانطويت
على ضفاف الليالي بكيت ثم بكيت
فما أفاد بكائي وما شفتني «ليت»

• • •

فيا ضفاف الليالي أما لبحرك حد!
وما لقلبي حزينا على ضفافك يشدو!

محمد محمود سالم

حين ينظم الشاعر

لشاعر اليمن الأستاذ محمد محمود الزبيري

أحس بريح كريح الجنان تهب بأعماق روحي هبوبا
وأشعر أن القوافي تدب كالنمل ملء دماغي دبيبا
فهذا يزوغ وهذا يروغ وذلك يذعن لي مستجيبا
وذاك يفارقني يائسا وهذا يراعدني أن يؤوبا
ومنها أوزع للعالمين طهراً وأنشر في الأرض طيبا
أخلف منها لقاح النهى وأنجب للأرض منها شعوبا
حروف الروى بها نطفة تزعزع بيتا عريقا نسيبا
أسلم نفسي لها ذاهلا حريصا عليها بشوشا طروبا
وأصغي لها هادئا تارة وأصرخ حينا عبوسا غضوبا
ولولا اهتدائي لسر النبو غ وأعراضه لطلبت الطبيبا

محمد محمود الزبيري

ورجوم (نطيمة) ذلك الحنان الهادئ العميق، الذى جبلت عليه أخواتنا

وغضب نجم ، وتركه لأهله ، هو الآخر ، احتجاج ، أكيد ، صارخ ، لما ينتاب النفوس الحساسة الأبية ، من ظلم محيط ، مترا كم ، ليس لدفعه من سبيل ، إلا بمثل هذا الاحتجاج

كما تصور لنا أقصوصة (الرهان) تلك التضحية ، التى يقدم عليها الآباء ، فى سبيل مستقبل أبنائهم ، فى مجتمع يقوم كل ما فيه على الاستغلال ، والعبث بمصائر البشر

فالتضحية التى قام بها (حمود) لسكى يتيح لابنته مستقبلا آمنا ، والتى كلفته حياته ، كانت بالنسبة للآخرين مجرد لهو يلهون به

ومثلما صورت لنا هذه الأقصوصة ، هذا الجو المظلم ، التعس، صورت لنا أقصوصتا (النزل رقم ٤) و (أعوام الرعب) جوانب مظلمة ، قاسية ، من جوانب هذا المجتمع المنهار

فأقصوصة (النزل رقم ٤) أبرزت لنا من زاوية خاصة ، أثر المال فى تشعين الحياة الإنسانية ، فإعطائها قيمتها الأنية . فتحكم صاحب الدار ، وعدم اكتراثه بحالة ساكنى داره رغم ابتزازه منهم ، الضريبة الشهرية ، وخضوع هؤلاء لسطوته ، وتلون حياتهم البائسة ، وفق ما تضطرهم إليه هذه الحالة ، من جهة ، وموقف الشاب من ابنتهم ، ومن أهله ، من جهة أخرى ، يحيطان بأتعس ما يمر على الإنسان من ذل مقيت ، وخضوع ظالم ، تتحول بهما الحياة الإنسانية إلى ما يقارب الحياة الحيوانية ، يزيدها مرارة ، وألماً ، شعور الإنسان بكرامته ، وحقه فى عيش أصلح

وما إن نصل إلى نهايتها حتى يدركنا جمود فكرى صارم، مرده إلى تلك النهاية الأليمة التى تحدرت إليها (العائلة) نتيجة انهدام دارها ، فإذا ما تعلق مصير الإنسان ببضع قطرات تسقط من السماء ، فتكفى لانهياره ، تحت التراب ، فأى قيمة لمثل هذا الإنسان ، وأى معنى للحياة التى يحياها ؟ !

أما (أعوام الرعب) فقد صورت لنا ، بطريق حاد ، شائك ما يعانيه الشعب العراقى اليوم ، من مآس دامية ، وما يجتاز من أهوال شداد ، فى سبيل تحقيق حريته ، وإنسانيته، وما يلاقيه فى سبيل هذا التحقيق من انتقام عات ظالم ، كما صورت التباين الشاسع بين عقليتين ، تلتقيان لأمور واحدة ، عقلية مؤمنة صاعدة (الابن) وعقلية ، أشرفت على الشيب والتدهور (الأب) فخضوع الأب ، واستسلامه ، الناجمان من الجهل والأساطير ، يقابلهما الوعى العلمى الذى يتحسسه الابن ، وكفاحه الجبار ، الأوحد المؤدى إلى النهاية التى لا ريب فيها . فهى تمثلنا فى فلتة نادرة ، أعمق العواطف الإنسانية المحتشدة فى الينبوع الأسمى

ومثلما صورت لنا (أعوام الرعب) الوعى الإيجابى المتغلغل فى دماء (الابن) صورت لنا أقصوصة (صديق عبد على) الوعى السلبى الذى يراود القلوب الجاهلة ، والذى تمثل فى العطار (عبد على) . فاهتمامه بالانتصارات الألمانية ، وتهليله لهـــا ، وتتبعه للانتكاسات البريطانية ، وتشفيه منها يلفتان نظر القارئ الخاص ، إلى تلك الناحية الخفية (فعبد على) مثال لتلك الشخصيات المتعصبة ، التى رأيناها فى فترة الحرب ، ولم نفهمها يومذاك . فهى فى تحسسها الخاطئ ، باعتمادها على أجنبى آخر ، لا تقصد إلا إنقاذ بلادها ، مما هى عليه ، من جوع واضطهاد ، فظنها الخاطىء وعقيلتها المحدودة الثقافة ، توحيان لها أن الألمان ما داموا أعداءً للانكليز ، فهم أصدقاء للشعوب المبتلاة بسطوة (البارون) ومحرريها

وأقصوصة (بدور بنت عمى) هى الأخرى تمثلنا ، جانبا مظلما ، من جوانب هذا المجتمع ، بما فيهـا من تحجر وهبودية ، فحب العذراء لشخص غريب عنها ، واغتنامها لبعض الأمسيات الوادعة ؛ تقضيهـا فى التطلع — على بعد — إلى حبيبها ؛ جريمة لها جزاءها الرادع ، عند ابن العم الغيور . وهل غير القتل من جزاء

على أننا نلاحظ أن (الخاتم الماسى) أقل نجاحا من الأقاصيص السـابقة ، وسرها أنهـا فاقدة الحركة ، وعقدتها — كما يعبر الاصطلاحيون — ساذجة . فقد حاول الأستاذ شاكر أن يسرد لنـا فى أقصوصته هذه (الأفكار) التى راودت بطل القصـة ، عندما عرض عليه (أحدهم) أن يشترى خاتما ماسيا ، ومهما تكن أحقية هذه الأفكار ، من تطرقها للعدالة المطلقة ، وصـلاحية

العقاب الاجتماعي، فهي تظل كما قلنا ، وما ذاك إلا لأن (الفكرة) يجب أن تتوارى ، في الأقصوصة وسائر الأعمال الفنية — بحيث تدرك أهدافها ثانية ، بطيئة ، فشخصيات الأقصوصة إذا ماأصبحت رموزا يلتقطها الكاتب لادارة أفكاره، تفقد قيمتها ، ويبهت الاطار

وكذلك (الأغـــلال) فهي إلى الخيال أقرب ، ولعدم واقعيتها ، نستبعدها ، فما في كل يوم نلحظ حالا (صبيا) يكترى بخبزه اليومي ، دراجة ليتعقب خطوات حبيبته الأرستقراطية ، الترفة ، وما في كل ليلة نلحظ وقوف مثل هذا الحال تحت شرفة حبيبته . على أننا نستثني نهايتها فهي مما يتفق والواقع

ولم يبق لدينا إلا أقصوصتان ، الأولى (الدخيل) ونراها ذات صبغة علمية بحت (تستند إلى مفاهيم عـــلم النفس) فمن المستبعد أن يبلغ الإدراك في طفلة لم تتجاوز السادسة لمثل هـذا الحد ، فالغيرة لا تتبلور إلا في سن المراهقة !

والثانية (قلب كبير) فهي مريحة القراءة ، موفقة في تحليل نفسية الفتاة الغربية المراهقة ، ولعل أعمق ما فيهـا تصويرها لفتات الفتاة ، ونظراتها إلى صاحبها أثناء التقائه (مصادفة) بصويحباته ، المارات

ونظرة موحدة إلى أسلوب الأستاذ شاكر تعطينا مانريد ، فقد سـار بطريق عرض موحد ، إذ ألقى في كافة الأقاصيص ، مهمة (العرض) إلى أبطال الأقاصيص نفسها ، فكل واحد منهم يقص (قصته) وهذه الطريقة لها ميزتها الخاصة، وموفقة في التحليل النفسي ، إذ توهم القارىء أن البطل (المتكلم) قريباً منه كأنه يسر إليـــه خاصة بهمومه ، ولو حاول الكاتب أن (يتملص) في بعض أقاصيصه من هـذه الطريقة لكان عندي أحسن ، فللتنويع أهميته ، لئلا يتداخل الملل في نفس القارىء ، ولئلا يلمس الرتابة في العرض

وجعل الأستاذ واضحة المهارة ، مألوفة المفردات ، فلا التواء في التعبير ولا تعقيد في المعنى ، ومحاولة الأستاذ في تفصيح العبارات العامية العراقية وإدخالها في أقاصيصه محاولة ناجحة ، بارزة الإيماء ، إذ خلعت على الأقاصيص جوا واقعيا ، نابضاً ، والحق أن أهم مشكلة تواجه القصاص ، هو هذا التباين الصارم بين لغة الكتابة ولغة التخاطب ، فإذا ما أراد الكاتب إدارة (حواره) باللغة العامية ، تقلصت دائرة قراءتها ، وأصبحت محلية ، وإن أداره باللغة الفصحى ثارت بوجهه صعوبات ، هادرة ، إذ يفقد بذلك أعز ما يتاح للأديب ، أعني إبراز الروح الكامنة وراء الألفاظ ، وفق ما يتداولها الناس ، وإزاء ذلك ، فمحاولة الأستاذ محاولة تنعش أدبنا التكاسل وتزيده كالا

ونود أن نشير إلى تلك اللوازم التي يلتزمهـا بعض أبطال الأقاصيص ، ففي حياتنا كثيراً ما نشاهد مثل تلك اللوازم ، تتكرر ، بصورة لا إرادية أثناء الأحاديث ، وقد تبلغ مرحلة من السيطرة بحيث يعجز صاحبها أن يسترسل في كلامه ، إذا ما حاول إســـقاط تلك اللوازم ، وهي وإن وردت في بعض الأعمال الفنية العظيمة (مثل الشيء الصغير) ، فهي جديدة على أقاصيصنا العربية ، ولها دلالتها الخاصة في خلق جوحيوي ملائم

هذا وعهد جديد يمثل مرحلة انتقال في الأقاصيص العراقية ، فللمؤلف شكرنا

بغـداد سليم عبد الجبار

ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك